مدخل اسلامى لدراسة التنمية

دكـــتور

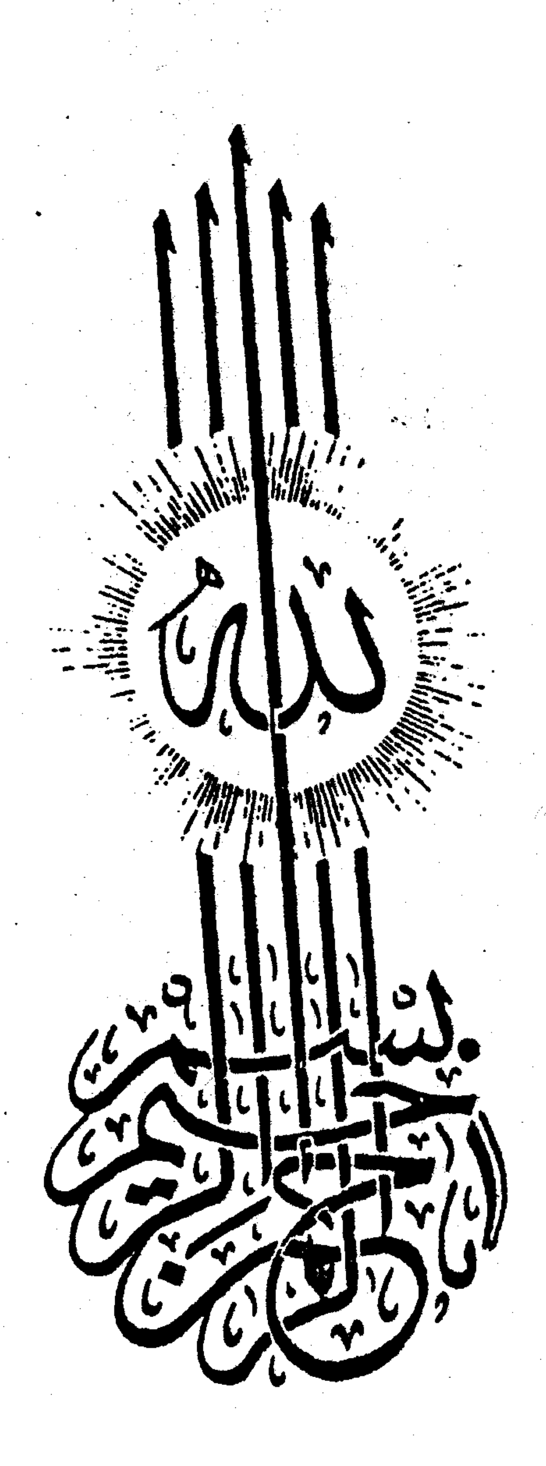
حسن محمـــد ابراهيم حسـان

كلية التربية - جامعة المنصورة

الناشـــر

المـــكتبة العلمية بالمنصورة

١٩٨٤


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل اسلامى لدراسة التنمية

مدخل للدراسة :

أصبحت قضية التنمية مثار اهتمام العلماء والباحثين مع بداية النصف الثانى من القرن العشرين ، ومما يدل على ذلك أنه قد أجريت دراسات وبحوث عديدة حول هذه القضية استهدفت أساسا تحديد مفهومها وتحليل عناصرها وتوضيح آثارها . واذا كان هناك دراسات قد ركزت بالدرجة الأولى على بناء اطار فكرى ونظرى شامل لهذه المفاهيم ، فان هناك مجموعة من الدراسات الأخرى ركزت اهتمامها على ابراز فعالية عملية التخطيط للتنمية فى البناء الاجتماعى والاقتصادى .

وسواء كان الاهتمام بقضية التنمية نظريا من الناحية الفكرية أو تطبيقيا من حيث ابراز فعالية عملية التخطيط للتنمية وأثر ذلك على البناء الاجتماعى والاقتصادى ، فان هناك نقصا شديدا وواضحا فيما يتصل بتوفر دراسات تتناول قضية التنمية من زاويته العلمية من منظور اسلامى ـ هذا بالرغم من ضرورة القيام بمثل هذا النوع من الدراسات الذى يعتمد على توضيح أثر استخدام المنهج الاسلامى فى تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى داخل المجتمعات الاسلامية .

ولقد طرحت قضية التنمية نفسها على شعوب العالم الاسلامى غداة الحرب العالمية الثانية نتيجة لتفكك النظام الاستعمارى القديم . وتخلص هذه الشعوب من السيطرة الاستعمارية وحصولها على استقلالها السياسى

وبالتالى توجهت الى الاستقلال الاقتصادى بمعنى تركيز الاهتمام على رفع مستوى المعيشة لأفرادها والقضاء على التخلف .

وما نريد تأكيده هنا أن التشخيص السليم لتخلف المجتمعات الاسلامية يكمن فى أنها قد استنزفت اقتصاديا ما أوجد بناءات اقتصادية مشوهة وتابعة للظروف الاستعمارية التى مرت بها . وكذلك نتيجة للضغوط والأساليب الامبريالية الحديثة التى تعيشها . هذا بالاضافة الى مجموعة التحديات الداخلية التى ترتبت على هذا الوضع وتولدت عنه وتتمثل فى ارتفاع نسبة الأمية داخل هذه المجتمعات . والثنائية الاجتماعية والاستناد الى نماذج مستوردة لتشخيص وتفسير مشكلة التخلف وفوق هذا وذاك عدم التمسك بالقيم الاسلامية الأصيلة .

وقبل أن نستعرض اطار لتلك التحديات يهمنا أن ننوه أن التحليل العلمى الموضوعى لأسباب التخلف والادراك الواعى لمتغيرات العصر ولطبيعة القوى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المسيطرة . ولطبيعة فهم المجتمعات الاسلامية للأصول والمبادىء الاسلامية الصحيحة المسهمة فى عملية التنمية كل هذه العناصر تعد متغيرات اساسية فى تشكيل ملامح وقسمات اطار هذه التحديات . والتى يلزم أخذها فى الحسبان لمواجهة مشكلات التخلف فى المجتمعات الاسلامية المواجهة العلمية السليمة .

ولا شك أن التحدى الكبير الذى يواجه المجتمعات الاسلامية . فى اواخر القرن العشرين وامام مشارف القرن الحادى والعشرين . هو تجاوز هوة التخلف بينهم وبين المجتمعات المتقدمة . وبالرغم من تلك الحقيقة

فاننا نجد أن السير الجدى المؤدى الى مواجهة ذلك التحدى وتجاوز هذا التخلف ،ما يزال قاصرا عن تحقيق هذا الهدف . ولا يرجع هذا القصور فى مواجهة التحدى الى مجرد ضعف فى العزيمة أو الى العقبات التى تضعها الدول المتقدمة أمام انطلاقة المجتمعات الاسلامية . فهذه الأسباب وسواها - على أهميتها - لا تكفى فى نظرنا لتفسير تباطؤ الجد الاسلامى فى معركة التنمية والتحديث واللحاق بركب التقدم . ونرى أن وراء هذه الأسباب جميعها سبب أعمق وأخطر ، هو التقصير عن فهم طبيعة الهوة التى تفصل بين البلدان الاسلامية والبلدان المتقدمة ،والعجز بالتالى عن رسم أنجح السبل وأقصر الطرق المؤدية الى تجاوز تلك الهوة فى اطار القيم المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله .

ولذلك فان هذه الدراسة للمدخل الاسلامى للتنمية سوف تتناول القضايا التالية :

- تحديد مفهوم التنمية .
- العلاقة بين المفاهيم الوضعية للتنمية والشريعة الاسلامية.
- معوقات التنمية فى المجتمعات الاسلامية .
- رؤيا اسلامية لعناصر التنمية .

١- حول تحديد مفهوم التنمية :

هناك اتجاهات فكرية مختلفة لتفسير مصطلح التنمية Development وسوف نحاول استعراض بعض هذه المفاهيم وذلك لغرضين أساسيين :أولهما لكى نحدد مدى حاجتنا الى هذه المفاهيم جزئيا أو كليا فى أى دراسة

اسلامية للتنمية ، ـ وثانيهما : لكى نكون أكثر دقة فى بيان موضع المفهوم الاسلامى للتنمية فى عالم النظرية ثم فى عالم التطبيق .

والتنمية كمفهوم هى ذلك التعبير المعنوى الذى يدل على العملية الديناميكية المكونة من سلسلة من التغيرات الوظيفية والبنائية اللازمة لبقاء الكائن الحى ونموه فى بيئته . وبناء على ذلك فنقطة البداية هنا هى عملية التغير التى تحدث نتيجة لتفاعل الكائن الحى مع عناصر بيئته بطريقة تمكنه من البقاء والنمو فيها (١) .

وتطبيقا لمفهوم التنمية على المجتمع يمكن القول بأن مصطلح تنمية يقصد به احداث سلسلة من التغيرات الوظيفية والبنائية داخل المجتمع ، وذلك بهدف زيادة قدرة أفراد ، على استغلال الطاقات المتاحة للمجتمع الى أقصى حد ممكن ، وبطريقة تحقق للمجتمع أهدافه من التقدم والرقى . وبذلك يشير مفهوم التنمية الى ذلك النمو المتعمد الذى يتم عن طريق الجهود المنظمة التى يقوم بها الانسان لتحقيق أهداف معينة .

وخلاصة القول فان التأكيد على تنمية المجتمع هو تأكيد على تربية وتنمية الانسان أكثر منه تأكيد على عامل التغير نفسه . فالتربية ضرورية للوصول الى التغير الحقيقى للأفراد وبالتالى للمجتمع ، فالاهمية هنا مرتبطة بالفرد من حيث كيفية تحويله الى عضو مشارك وفعال يعيش فى مجتمع العدالة والمساواة والتكافل الاجتماعى (٢) .

(١) جلال مدبولى ، المجتمعات الريفية المستحدثة تخطيطها وتنميتها ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٨٧ .

(٢) عاطف غيث ، التنمية الريفية ومشكلات المجتمع القروى المصرى ، فى الكتاب السنوى الأول فى التنمية الريفية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ ، ص ١٩٨ .

٢- بين مفهومى التنمية الاجتماعية والاقتصادية :

نجد فى كثير من الكتب والمراجع التى تتحدث عن التنمية أن هناك من يقسم التنمية الى جانبين ، تنمية اجتماعية وتنمية اقتصادية ، ونرى أن هذا التقسيم تقسيما مصطنعا وغير طبيعى ، وبالرغم من ذلك فانه مفيد وله أهميته فى تحديد وقياس مستوى التقدم والنمو فى مختلف جوانب النشاط الانسانى داخل المجتمع (١) .

أ - التنمية الاجتماعية : Social Development

هناك اتجاهات مختلفة لتفسير مصطلح " التنمية الاجتماعية ، ويمكن تلخيص هذه الاتجاهات فيما يلى (٢) :

١- يرى أصحاب الاتجاه الأول أن " التنمية الاجتماعية " مرادفة لاصطلاح " الرعاية الاجتماعية " بالمعنى الضيق لمفهوم الرعاية ، والتى لا تمثل الا جانبا واحدا من الخدمات الاجتماعية التى تقدمها الدولة لمواطنيها .

٢- يرى أصحاب الاتجاه الثانى أن " التنمية الاجتماعية " هى عبارة عن عمليات " تغيير اجتماعى " تلحق بالبناء الاجتماعى ووظائفه بغرض اشباع الحاجات الاجتماعية للفرد .

٣- ويرى أصحاب الاتجاه الثالث أن " التنمية الاجتماعية " تطلق على الخدمات التى تقدم فى مجال التعليم والصحة والاسكان ... الخ ، وهى بذلك تهدف الى توفير الخدمات التى تحقق أقصى استثمار متاح أو ممكن

(١) حامد عمار ، فى اقتصاديات التعليم ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٥ .
(٢) انظر فى ذلك :
عبد الباسط محمد حسن ، التنمية الاجتماعية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ص ٩٧ - ٩٩ .

للطاقات والامكانات البشرية الموجودة في المجتمع •

ويعتبر الاتجاه الثالث هو أكثر المفاهيم شيوعا بالنسبة للتنمية الاجتماعية وان كان لا يشير في مضمونه الى ضرورة ادخال التغيرات اللازمة في البناء الاجتماعي للمجتمع والتي تناولها الاتجاه الثاني في تحديد مفهوم التنمية الاجتماعية •

ويمكن أن نخرج من هذه الاتجاهات الثلاثة لتحديد مفهوم " التنمية الاجتماعية" بأن جوهر هذا المفهوم هو العنصر البشري والخدمات المتنوعة المقدمة اليه • ولذلك فانه من الأهمية بمكان التركيز على ما يعوق اجراء وادخال هذه الخدمات حتى تحقق هذه الخدمات الهدف من انشائها • مع ضرورة الاهتمام بمشاركة الأفراد أصحاب المصلحة الحقيقية ـ من تقديم هذه الخدمات ـ في التفكير والاعداد لها وتنفيذها ومتابعتها وتقويمها • وبذلك فان التنمية الاجتماعية لا تعني فقط مجرد تقديم خدمات متنوعة للأفراد وانما يجب أن تعني أيضا باحداث بعدين رئيسيين داخل المجتمع هما :

أ ـ تغيير الأوضاع الاجتماعية القديمة التي لم تعد تساير روح العصر •

ب ـ اقامة بناء اجتماعي تنبثق عنه علاقات جديدة وقيم مستمدة من الأصول الاسلامية الصحيحة حتى يتحقق أكبر قدر ممكن من اشباع المطالب والحاجات للأفراد داخل المجتمع •

ويضيف " هوبهاوس" Hobhouse الى مكونات مفهوم التنمية الاجتماعية الذي ذكرناه ضرورة الاهتمام بتنمية الصفات الكيفية للفرد مثل المبادأة والثبات والجلد لتقوية روابط الفرد مع الجماعة التي

ينتمى اليها (١) .

ب- التنمية الاقتصادية : Economic Development

ان التنمية الاقتصادية " مفهوم مركب ومعقد ، وينعكس ذلك فى ترابط وثيق فى نواح ثلاثة من التنمية وهى : الشكل المادى ، والتنظيمى ، والفكرى. ومن هنا نرى أن التنمية الاقتصادية ليست تنمية مادية فحسب ، ولكنها تنمية للطاقات البشرية ، وتنمية للمهارات والعادات الفكرية اللازمة لتسخير موارد الطبيعة من أجل رفاهية الانسان .

ويستخدم مفهوم " التنمية الاقتصادية " فى الفكر المعاصر غالبا لمجموعة الدول النامية (التى منها الدول الاسلامية) ليعنى زيادة الدخل القومى الحقيقى Real National Income للمجتمع على مدى الزمن بمعدلات لا تسمح فقط بزيادة متوسط نصيب الفرد من هذا الدخل وانما تعمل ايضا على تضييق فجوة التخلف الاقتصادى بين الدول النامية والدول المتقدمة .

وتشمل عملية التنمية الاقتصادية ليس فقط - زيادة العناصر الانتاجية المستخدمة فى النشاط الاقتصادى سواء عن طريق تشغيل المتعطل منها لدى المجتمع أو زيادة الكميات المتاحة من العناصر الأكثر ندرة ، بل تتضمن أيضا زيادة الكفاءة الانتاجية لعناصر الانتاج المختلفة المستخدمة فى النشاط الاقتصادى عن طريق اعادة توزيعها بين قطاعات الاقتصاد المختلف بهدف

---

(١) Hobhouse, L. T., Social Development, George Allen and Uwin Ltd., London, 1966, PP. 74-90.

الاستخدام الأمثل لعناصر الانتاج . وينتج ذلك من طريق اجراء تغييرات جذرية فى تنظيمات وفنون الانتاج ينطوى على الاستخدام الأمثل لهذه العناصر [١] .

جـ - تكامل عناصر التنمية :

على الرغم من تعدد التعاريف التى ناقشت جانبى التنمية - أى الجانب الاجتماعى والجانب الاقتصادى - الا أن هناك اتفاقا يكاد يكون عاما على أن التنمية الاقتصادية ترتبط ارتباطا وثيقا بالتنمية الاجتماعية [٢] . فارتفاع مستوى الخدمات العامة يؤثر تأثيرا واضحا فى برامج التنمية الاقتصادية ويؤدى الى زيادة الكفاية الانتاجية للفرد . ومن هنا نجد أن هناك عوامل أخرى غير العوامل الاقتصادية تساهم بدورها فى تحقيق المزيد من التنمية الاقتصادية . فالى جانب الثالوث الاقتصادى Economic Triumvirate الذى يتضمن الأرض والعمال ورأس المال ، يبدو أن العامل الأكثر أهمية هو العامل البشرى حيث يعتمد استثمار هذه العوامل على القوى البشرية من حيث عددها ، ونشاتعرها ، ومستوى تعليمها وتدريبها والمهارات التى تمتلكها وقدرتها على المبادرة والاختراع ، ومستوى الطموح والأهم من ذلك القيم التى يؤمنون بها .

(١) انظر فى ذلك كلا من :
-Kindleberger, C. P., and Herrick, B., Economic Development, Mc-Graw Hill Kogakusha Ltd., 1977, ChapterI
- عبد الرحمن يسرى أحمد ، دراسات فى التنمية الاقتصادية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ص ٧٧-٧٩ .

(٢) صلاح العبد ، موجز لتحديات التنمية فى البلدان النامية (العالم الثالث) ، فى الكتاب السنوى الأول فى التنمية الريفية ، مرجع سابق ، ص ٧٨ .

فالمصادر والثروات الطبيعية تمثل فى حد ذاتها جانبا سلبيا ، بينما القدرة على على استغلال هذه الثروات انما تمثل الوسائل التى تجعل من هذه الثروات جانبا ايجابيا فى التنمية . وبذلك يمكن النظر الى توفر الموارد الطبيعية على أنها من العوامل " المتيحة أو الممكنة " Permissive للتنمية ، وليست من العوامل " الحتمية أو الحاسمة " Deterministic .(١)

ولفترة طويلة من الزمن لم يكن هناك ذكر للعوامل الاجتماعية وأثرها فى عملية التنمية الاقتصادية . وربما يعود ذلك الى شيوع المفهوم التجريدى للاقتصاد Pure Economics فى أوائل القرن العشرين والذى تم بمقتضاه عزل العوامل الاقتصادية عزلا تاما عن كافة العوامل الغير اقتصادية . وربما يعود ذلك أيضا الى عدم وجود أفكار محددة لدى رجال الاقتصاد للربط بين العوامل الاقتصادية والعوامل الاجتماعية . وبالاضافة الى ذلك فلقد كان رجال الاقتصاد يرون أن التنمية الاقتصادية هى المتغير " المستقل " وهى السبيل الى احداث التقدم الاجتماعى . أما التنمية الاجتماعية فليست الا متغيرا " تابعا " فاذا أمكن التغلب على مشكلة الفقر فى البلاد النامية فان النتيجة الطبيعية لذلك هى تحسين أحوال الأفراد وارتفاع مستوياتهم المعيشية .

ونتيجة لاستمرار مشكلة التخلف الاقتصادى لدى غالبية دول العالم — الدول النامية — بسبب فشل الأساليب والسياسات الاقتصادية المجردة فى معالجة هذه المشكلة الخطيرة بدأ رجال الاقتصاد يقترحون مفاهيم أكثر

---

(١) على عيسى عثمان ، أسس التخطيط الاجتماعى ، فى مجلة تنمية المجتمع فى العالم العربى ، المجلد التاسع ، العدد ٣ ، سرس الليان ، ١٩٦٢ ، ص ١٢ .

واقعية للتنمية • ولذلك بدأو يؤكدون على أن برامج التنمية الاجتماعية ينبغى ألا تهمل حتى يرتفع الدخل القومى ، ويزداد نصيب الفرد من هذا الدخل • بل انهم أيضا أخذوا يطالبون بزيادة الانفاق على البرامج الاجتماعية التى لها تأثير على زيادة الكفاية الانتاجية مثل التعليم والصحة وغير ذلك • حيث أن من شأن هذه البرامج أن تزيد من طاقة الأفراد الانتاجية بقدر ما ترفع من مستوى حياتهم (١) •

ومن هنا نجد أن وجهة النظر التى تعتبر مشروعات التنمية الاجتماعية على أنها مشروعات لا تؤدى الى عائد او مردود اقتصادى مباشر هى نظرة خاطئة ، حيث أن اكتساب المهارة والمعرفة كنتيجة للتعليم يؤثر على الانتاج ، كما أن اكتساب الصحة كنتيجة للخدمات الصحية يؤثر على قدرة الفرد على العمل وهكذا • ولذلك فان الاستثمار فى برامج التنمية الاجتماعية هى برامج اقتصادية والاستثمار فيها استثمار طويل الأجل له فوائد محققة بالنسبة للفرد والمجتمع على حد سواء •

وهذا ما أكده " فردريك هاريسون Harison, F. من أن المشكلة الأساسية لأغلب الدول النامية ليست فى فقر الموارد الطبيعية ، ولكن فى اهمال تنمية الموارد البشرية ، ولهذا فان الهدف الأول لهذه الدول يجب أن ينصب على تنمية رأس مالها البشرى (٢) • وما يؤكد ذلك

---

(١) وفيق أشرف حسونة ، معوقات التنمية الاجتماعية فى الريف المصرى ، مطبوعات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، مايو ١٩٧٥ ، ص ٢٩ •

(٢) فردريك هاريسون ، التعليم للتنمية ، ترجمة جمال زكى ، المجلة الاجتماعية القومية ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، العدد الثالث القاهرة ، سبتمبر ١٩٦٤ ، ص ٧٧ •

أيضا أننا نجد أن الفروق الجوهرية بين الدول المتقدمة والدول النامية ليس مصدرة الفروق فى الموارد الطبيعية ، بقدر ما هو فى الفروق بين " الشكل التنظيمى " و " الشكل الفكرى " ، وذلك يعنى أن العنصر البشرى وليس العنصر المادى هو العامل الأكبر فى التقدم والتخلف.

ولقد صاحب اهتمام المفكرين الاقتصاديين بدراسة الجوانب الاجتماعية للتنمية الاقتصادية ، اهتمام آخر من جانب المفكرين الاجتماعيين بدراسة التنمية ، فحاولوا ارتياد مجالاتها وتحديد أبعادها ، ومناقشة قضاياها المتعددة . ومن رواد هذا الاتجاه كل من مور وليرنر (Moore, W. and Lerner, D.) فى علم الاجتماع ، وآدمز وجلين (Ad ams, R. and Gillin) فى علم الأنثروبولوجيا ، وماك كايلاند (Mc.Cllelland) فى علم النفس (١) .

ومن ذلك يتضح أنه قد قامت اسهامات متعددة سواء من جانب المفكرين الاقتصاديين أو المفكرين الاجتماعيين وغيرهم لتحديد الأثر التبادلى بين المتغيرات الاجتماعية والمتغيرات الاقتصادية لتوضيح آثار وانعكاسات المتغيرات الأولى (الاجتماعية) على الثانية (الاقتصادية) وصولا الى تأكيد وجود حقيقة واحدة اقتصادية اجتماعية .

٣- العلاقين بين المفاهيم الوضعية للتنمية والشريعة الاسلامية :

لسنا هنا بحاجة الى التأكيد على أن الشريعة الاسلامية لا ترفض أية مفاهيم موضوعية يمكن أن يواجه بها الفرد أو المجتمع مشكلة من المشاكل الدنيوية طالما كانت هذه المفاهيم لا تتعارض شكلا أو موضوعا مع المبادئ

(١) عبد الباسط محمد حسن ، التنمية الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١٥-١٦ .

التى أرسى دعائمها كتاب اللــه وسنة رسوله .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو هل نستطيع أن نستفيد من المفاهــيم الوضعية السابقة للتنمية فى مواجهتنا لمشكلة التخلف فى المجتمعـــات الاسلاميــة ؟ ولذلك سوف نحاول هنا الاجتهاد فى سبيل استنباط العلاقة بين المفاهيم السابقة للتنمية والشريعة الاسلامية . وما يشجعنا على الاجتهاد أن التنمية أصبحت فى حاجة الى مفهوم اقتصادى اجتماعى والاسلام كما نعرف له وجهة نظر ايجابية وسليمة فى هذا المجال . وما يدفعنا أيضــا بــل ويلزمنا على الاجتهاد أن غالبية الدول الاسلامية تنتمى حاليا الى مايسمــى بمجموعة الدول النامية ، وأنها تقف عاجزة عن دفع عجلة التنمية بالدرجـــة المنشــوده .

واذا تدارسنا كتاب الله لنجد أن هناك كثيرا من الآيات القرآنية الــتى يمكن أن نستنبط منها العلاقة بين المفاهيم السابقة للتنمية والشريعة الاسلامية مثال ذلك قوله تعالى :

" فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مــدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا " (١) .

والآيات هنا موجهة الى قوم نوح عليه السلام فهو ينادى قومه بأن يؤمنــوا بالله ويتوبوا عن الكفر والمعاصى حتى يحصلون على بركات السماء وبركـــات الأرض . وليبين لهم أن ما هم فيه من الأمطار ، وما حرموه من الــــرزق والذرية انما سببه عدم ايمانهم بالله (٢) .

---

(١) سورة نوح ، الآيات رقم ١٠ ، ١١ ، ١٢ .
(٢) محمد على الصابونى ، صفوة التفاسير ، المجلد الثالث ، دار القـــرآن الكريم ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٤٥٢ .

وقوله تعالى :

" والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون " (١) .

والآية هنا تدل على أن الأرض الكريمة التربة يخرج النبات فيها وافيا حسنا ، غزير النفع بمشيئة الله وتيسيره ، وهذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ، أما الأرض اذا كانت خبيثة التربة كالأرض السبخة لا يخرج النبات فيها الا بصعوبة ومشقة وقليلا لا خير فيه ، وهذا مثلا للكافر الذى لا ينتفع بالموعظة ، ولقد ضرب الله هذا المثل ليبين وجوه الحجج ويكررها آية بعد آية ، وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله على نعمة ، ولقد خص الله الشاكرين بالذكر لأنهم المنتفعون بسماع القرآن وهم القادرين على التفكر والاعتبار بهذه الآيات (٢) .

" ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون " (٣) .

والآية هنا تبين لو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا آمنوا بالله ورسله واتقوا وبعدوا عن الكفر والمعاصى لوسع الله عليهم الخير من جانب ولكنهم كذبوا الرسل فعاقبهم الله بالهلاك بسوء كسبهم وقلة رزقهم (٤) .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية رقم ٥٨ .
(٢) محمد على الصابونى ، صفوة التفاسير ، المجلد الأول ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ص ٤٥٢ .
(٣) سورة الأعراف ، الآية رقم ٩٦ .
(٤) محمد على الصابونى ، صفوة التفاسير ، المجلد الأول ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٥٤ .

وعلى ذلك نستطيع أن نقول بأن الغفلة عن طاعة الله والاستغراق في المعصية اذا شاعت بين أهل أى مجتمع فانها تعرضهم لسخط الله سبحانه وتعالى • كما أن غضب الله يحرمهم من الأمن والطمأنينة واتساع الرزق ويحملهم أعباء الحصول على هذا الرزق • بل أنهم مهما علوا فلا يأتيهم رزقهم طيبا يسيرا كما هو الحال مع المؤمنين • أى أن خبث طبائع الناس وابتعادهم عن طريق الهداية لن يكون الا سببا فى المعاناة ، فيعملون مثلما يعمل الصالحون ولكنهم يحصلون على ناتج أقل • ولا يعنى هذا الا شيئا واحدا وهو انخفاض الكفاءة الانتاجية لهؤلاء الناس وهو طريق مؤكد الى التخلف • وفى نفس الوقت فان هناك وعد الهى لأهل أى مجتمع بأنهم اذا خرجوا عن ذنوبهم وعزموا ألا يعودوا الى المعاصى وساروا فى طريق الايمان والتقوى فان الله سبحانه وتعالى سوف يرزقهم رزقا حلالا طيبا وفيرا ويزيدهم من فضله وهو على كل شئ قدير • ولا يعنى هذا فى المفاهيم الحديثة للتنمية الا ارتفاع الكفاءة الانتاجية لهؤلاء الناس وهو طريق مؤكد الى التقدم •

ويلاحظ أيضا من الآيات السابقة ، أن الحديث كان موجه من الله سبحانه وتعالى الى الجماعة (قوم نوح ، أهل القرى) وليس الى الفرد • وهذا معناه فى اللغة الاقتصادية أن الأمر يخص المجتمع ككل ولا يخص الفرد وحده ، ومن ثم يدخل فى نطاق التحليل الكلى وليس التحليل الجزئى الذى هو مناط اهتمام علماء الاقتصاد المعاصرين •

ونستطيع أن نستخرج من الآيات كذلك بأن هناك علاقة بين تقدم وتطور المجتمعات الاسلامية وبين الايمان بالله لأنها تعبر عن وعد من الله سبحانه

وتعالى لهذه المجتمعات بشرط ايمانهم وتمسكهم بالعقيدة الاسلامية ايمانا وعملا .

ويجب أن ندرك هنا بأن المجتمعات الاسلامية اذا كانت جادة فى طريق التنمية ، ألا تشغل نفسها بمقارنة درجة التقدم الاقتصادى لديها بدرجة التقدم فى المجتمعات غير الاسلامية . فالمجتمعات الاسلامية لها قانونها الخاص الذى يختلف عن قانون المجتمعات غير الاسلامية والطرفان كالبحران هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج . صحيح أن المجتمعات الاسلامية تتلاقى فى المعاملات الدنيوية مع المجتمعات غير الاسلامية ولكن بينهما برزخ لا يبغيان وربما يكون تخلف المجتمعات الاسلامية من باب التأديب الالهى لها وهو راجع الى بعدها عن طريق الحق — طريق الايمان بالله والتمسك بشريعته — وقد يكون تقدم المجتمعات غير الاسلامية استدراج من الله سبحانه وتعالى لهذه المجتمعات الى أجل مسمى الى أن يحين وقت العقاب الشديد مثلما حدث لقوم فرعون وعاد وثمود وغيرهم فى العصور القديمة ومثلما حدث لبعض الامبراطوريات بعد ظهور الاسلام (الفارسية ، والرومانية) . وبالاضافة الى ذلك فاننا اذا نظرنا الى مفردات الناتج القومى للمجتمعات الاسلامية ومفردات الناتج القومى للمجتمعات غير الاسلامية لتدل على أن المقارنة غير ممكنة بينهما . فمن بين مفردات الناتج القومى لدى المجتمعات غير الاسلامية نجد الخمور وانتاج لحم الخنزير وايرادات الملاهى التى يقوم نشاطها على استغلال غريزة الجنس وعلى تشجيع لعب الميسر ، غير ذلك كثير من الكسب الحرام .

وفى نهاية تناولنا للعلاقة بين المفاهيم الوضعية للتنمية والشريعة

الاسلامية يجب أن نؤكد على أن القول بأن التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى يتوقفان على الاستغفار من أهل المجتمع وصلاحهم وتقواهم ، لا يعنى أبدا عدم اعمال العقل فى كيفية تنمية النشاط الانتاجى ، اننا فى حقيقة الأمر فى حاجة لأن نفكر بصفتنا مسلمين فى العلاقة بين الاستغفار والخروج من اطار التخلف الاجتماعى والاقتصادى . وفى العلاقة بين درجة التمسك بالقيم الاسلامية وبين درجة التنمية . ان علينا أن نحاول فهم كل هذا ثم نحاول أن نضع ما نتوصل اليه من معرفة فى اطار علمى يمكن أن يعتمد عليه عمليا فى مواجهة مشكلة التخلف وفى السعى نحو تحقيق التنمية الشاملة للمجتمع الاسلامى .

٤- معوقات التنمية داخل المجتمعات الاسلامية :

أ - التمسك ببعض العادات والتقاليد الغير اسلامية :

تنتشر فى الكثير من المجتمعات الاسلامية بعض العادات والتقاليد الضاره بهذه المجتمعات . وتعتبر هذه العادات والتقاليد ألوانا من السلوك نشأت وانتشرت بين الجماعات المختلفة وبصفة خاصة فى فترات الضعف التى مرت بالمجتمعات الاسلامية ، ثم تناقلتها الأجيال فأصبحت تقليدا يأخذه الخلف عن السلف دون تفكير أو تأمل بما يرتبط بها من قوة الزام تبلغ مداها فى بعض التقاليد التى تراها الجماعة أساسية لكيانها فتصبح عرفا لها ومن ثم تشتد فى معاقبة من يخرج على قواعدها (١) .

(١) صلاح العبد ، موجز لتحديات التنمية فى البلدان النامية ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٢ .

وهذه العادات والتقاليد الغير اسلامية تضر بالمجتمع وتشيع فيه روح التفكك والتخلف والتنافر وما اليها من عوامل سلبية تعوق نهوض هذه المجتمعات وتضعف أنظمتها الاجتماعية • ومن أمثلة هذه العادات عدم الرغبة فى تحمل المسئولية والاعتماد على الآخرين • والمجاملة غير الموضوعية • تفشى الرشوة والفساد في الأجهزة الحكومية • واحتقار العمل اليدوى • وما الى ذلك من أمور •

وبالرغم من أن هذه العادات تخالف الشرع • فان الأجيال المتلاحقة تتوارث عن بعضها التقاليد المرتبطة بهذه العادات - الضاره - دون تفكير أو تأمل نتيجة لانتشار الأمية وعدم معرفة العامة للأصول الاسلامية الصحيحة ورؤيتهم لأسلافهم يتبعون هذه العادات هذا بالاضافة الى ترويج بعض المستغلين الذين يستفيدون من ممارسة الناس لها وغير ذلك من العوامل •

وللأسف الشديد فاننا نجد فى بعض المجتمعات الاسلامية اليوم - من بين المثقفين - فئة ضالة من بهرتهم الحضارة الغربية • فيعتقدون زورا وبهتانا بأن القيم الاسلامية لم تعد صالحة لمتطلبات العصر ولا تستطيع أن تتلاءم معها • أو أنهم ينظرون للقيم الاسلامية على انها أمور خاصة بالعبادات لا أكثر ولا أقل - ولكنها لا تتعلق بحياة المجتمع سواء أكانت اجتماعية أو سياسية • لقد تناسى هؤلاء أن الدين الاسلامى - خاتم الديانات السماوية - لم يهمل أمرا من أمور الآخرة أو الدنيا • وأن فصل الدين الاسلامى عن النظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى للمجتمع واظهاره بمظهر العجز فى هذه الأمور الحيوية انما هو تقليد أعمى للغرب المسيحى الذى ينظر للدين على أنه مثاليات خيالية فى ميدان العبادة المحضة •

واذا أخذنا على سبيل المثال بضعا من العادات والتقاليد الغير اسلامية والمنتشرة اليوم فى الكثير من المجتمعات الاسلامية لنرى أثر تفشى هذه العادات والتقاليد على التنمية داخل هذه المجتمعات . فان عدم القدرة أو الرغبة فى تحمل المسئولية ودافع الاعتماد على الآخرين والمجاملة فى غير موضعها تؤدى جميعا الى آثار سلبية تؤثر على مقدرة المجتمع فى تحقيق التنمية المنشودة . ان دافع ارضاء الآخرين أو المجاملة الغير موضوعية قد يؤدى بالأفراد الى عدم كشف الأخطاء أو التغاضى عنها أو قد تؤدى الى تعيين أفراد فى مناصب رئيسية دون أن يكونوا عند مستوى الكفاءة المطلوبة . وهذه أمور ذات ضرر بالغ على النشاط الانتاجى داخل المجتمع اذ تعنى ببساطة تراكم الأخطاء وعدم القدرة على استخدام الكفاءات المناسبة مما يؤدى الى عدم القدرة على استخدام موارد المجتمع استخداما أمثل .

ولا بد أن نؤكد هنا أن وقوع المجتمعات الاسلامية فى هذه الأخطاء يعنى ابتعاد هذه المجتمعات عن الطريق القويم اذ يقول رب العزة " كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانو يفعلون " (١) فالمسلم لا يجب أن يرضى أحد أو يجامل أحدا الا فى الأمور التى يرضاها الله سبحانه وتعالى . كما أن الدين الاسلامى قد وضع شروطا محددة للامارة — وهى تعنى فى المفهوم الحديث للادارة كل ما يعرف بالمناصب القيادية فى المجتمع — تبعدها عن المجاملة الشخصية . ويتمثل ذلك فى الحديث الشريف ، فعن أبى ذر رضى الله عنه قال : " قلت يارسول الله ألا تستعملنى ، فضرب بيده على منكبى ثم قال : يا أبا ذر انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامه خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليها فيها " (٢)

(١) سورة المائدة ، الآية رقم ٧٩ .
(٢) رواه مسلم .

ولا شك أن ترك هذه العادات والتقاليد الغير اسلامية تضر بالمجتمع المسلم ، ولذلك فان هذه المشكلات تحتاج الى جهود مشتركة من كافة المؤسسات التربوية داخل المجتمع . لأن الاعتماد على التعليم وحده لحل هذه المشكلات غير كاف حاليا اذ أن نسبة من لا يلتحقون بالتعليم في المجتمعات الاسلامية لا يزال من الكثرة بمكان ، وهؤلاء يحدثون تأثيرا سلبيا لمقاومة تغيير هذه العادات والتقاليد .. ولذلك فان رسم برنامج لتغيير هذه العادات من الممكن أن يتحقق في ضوء انتشار وسائل الاتصال بالجماهير على نطاق واسع وذلك عن طريق المسجد والاذاعة والتليفزيون وغيرها . ان هذه المشكلات تحتاج الى تكاتف كل من رجال الدين ورجال التربية بهدف القيام ببعض الدراسات التجريبية للكشف عن أسباب تفشى هذه الظواهر في المجتمع الاسلامي ومدى تأثيرها السلبي على حركة التنمية داخل المجتمع ، وكيفية علاج هذه الظواهر السلبية . اننا مطالبون بصفتنا مسلمين وقد شرفنا الله بالاسلام أن نعود الى صوابنا وأن نعترف بأخطائنا التي وقعنا فيها عمدا أو نتيجة للظروف التي مرت بنا .

ب - ارتفاع نسبة الأمية :

ترتفع نسبة الأمية بوجه عام في المجتمعات العربية والاسلامية ، مما يجعل منها مشكلة مؤثرة في بنية هذه المجتمعات اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، معوقة لتطورها الحضاري الذي تطمع فيه. ولقد ورثت هذه المجتمعات هذه النسبة العالية من الأمية مع بدء مرحلة تطورها الحضاري الحديث ، والذي بدء متأخرا نتيجة لعدة ظروف من أهمها الاستنزاف الشديد الذي فرضته قوى الاستعمار على مواردها . وطاقاتها وثرواتها المادية والبشرية . ثم

بدأت هذه المجتمعات مرحلة التطور الحضاري وسط تناقضات عديدة ومشكلات متعددة جعلت مشكلة محو الأمية تأخذ أولوية متأخرة سواء من حيث بذل الجهد أو المخصصات اللازمة لعلاجها (١) .

ولا شك أن الأمية مشكلة معقدة وترتبط بكثير من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية ، وأي جهود تبذل فيهما انما هي في ذات الوقت جهود تبذل أيضا من أجل التغلب على المشكلات الأخرى . وتشير كثير من الدراسات والبحوث التي أجريت على الأمية في الدول العربية الى ما يلي (٢) :

١- ارتفاع نسبة الأمية ، فقد تصل في بعض البلدان العربية الى حوالي ٨٠٪ .

٢- أنها موزعة بين سكان الريف وسكان الحضر وان كانت النسبة بين سكان الريف أعلى منها بين سكان الحضر .

٣- أنها موزعة بين الذكور والاناث وان كانت النسبة بين الاناث أعلى منها بكثير بين الذكور .

٤- انها موزعة في الفئات العمرية المختلفة لكلا الجنسين وان كانت تتركز بصفة خاصة في الفئات العمرية الانتاجية أي في العمر ما بين ١٥ الى ٥٥ سنة .

ولقد أثبتت بعض الدراسات والبحوث التي أجريت على العلاقة بين

---

(١) فاخر عاقل ، معالم التربية ، دراسات في التربية العامة والتربية العربية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨ ، ص ص ٢٥٠ - ٢٥٢ .

(٢) عبد الفتاح جلال وآخرون ، استراتيجية مقترحة لمحو الأمية في الوطن العربي ، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي ، سرس الليان ، يناير ١٩٧٦ .

انتشار الأمية والتنمية داخل المجتمع ما يلى (١) :-

١- يزيد الدخل القومى فى المجتمع بانخفاض نسبة الأمية والعكس صحيح .

٢- يؤدى انتشار الأمية الى سيادة أنماط سلوكية سلبية على التنمية.

٣- تنخفض نسبة الوفيات اذا انخفضت نسبة الأمية وتزيد بزيادتها .

٤- تقل الرغبة فى تعليم الأبناء كلما زادت نسبة الآباء الأميين .

هـ- تقل القدرة على استيعاب أساليب التدريب وتنخفض الكفاءة الانتاجية للأفراد بارتفاع نسبة الأمية بين العاملين ،ولهذا أثره على الانتاج وبرامج التنمية بصفة عامة .

ولكن لماذا يجب علينا بصفتنا مسلمين أن نعمل على محو الأمية بين أفراد مجتمعاتنا ؟ ولكى نجيب على هذا السؤال سو نبين حرص الاسلام على الدعوة الى طلب العلم . ويبدو ذلك واضحا فى القرآن الكريم - مخرج الناس من الظلمات الى النور - وفى أحاديث حامل الرسالة محمد صلى الله عليه وسلم . ومن الطبيعى أن يسير حكام المجتمعات الاسلامية على نفس الطريقة بالبحث على طلب العلم والمعرفة تحقيقا لما دعا اليه القرآن الكريم واقتداء برسوله العظيم .

فالدعوة الاسلامية تقوم على العلم والتبصر ، وأنها تحث على التثقيف والتعقل فى كل أمر ، وأنها تعتمد فى جملتها على مخاطبة العقل ، وأنه لاحظ لجاهل فى الاسلام لأن الله جعل العلم حياة والجهل موتا اذ يقول : سبحانه :" أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به الناس كمن

---

(١) المركز الدولى للتعليم الوظيفى فى العالم العربى ، التقرير النهائى لندوة خبراء استراتيجية محو الأمية فى الدول العربية ١١-١٦ أكتوبر ١٩٧٥ ، سرس الليان ، يناير ١٩٧٦ .

مثله فى الظلمات ليس بخارج منها "(١) .

ولعل الحكمة فى تنبيه العقول وايقاظها للتعرف على الخالق واضحة فى أول آية نزلت من القرآن الكريم فيقول سبحانه : " اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم " (٢) فهذه الآيات دعوة الى القراءة وتنبيه بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق الذى علم بالقلم . ولم تكن القراءة المقصودة فى هذه الآيات قراءة حروف وكلمات وانما كان قراءة فى كتاب الكون الواسع للاستدلال على قدرة الله فندين له بالولاء والطاعة .

ودعا الله سبحانه وتعالى الى الاستزادة من طلب العلم حيث يقول : " وقل رب زدنى علما " (٣) . ورفع الله من مكانة العلماء وجعل لهم منزلة تختلف عن غيرهم فيقول : " قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون " (٤)

ولقد جعل الرسول الكريم طلب العلم واجبا على كل فرد مسلم حيث يقول " طلب العلم فريضة على كل مسلم " (٥) . ويمثل الترغيب فى طلب

---

(١) سورة الأنعام ، الآية رقم ١٢٢ .
(٢) سورة العلق ، الآيات من رقم ١ - ٥ .
(٣) سورة طه ، الآية رقم ١١٤ .
(٤) سورة الزمر ، الآية رقم ٩ .
(٥) رواه ابن ماجه وغيره ، أنظر ، زكى الدين المنذرى ، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، الجزء الأول ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣ ، ص ٧٤ .

العلم جانبا من أحاديث الرسول فعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من سلك طريقا يبتغى فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وأن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وأن العلماء ورثة الأنبياء ، وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر "(١) ورفع الرسول الكريم من مهنة التعليم حين قال : " ... وانما بعثت معلما "(٢) .

ولسنا هنا بصدد احصاء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التى تحث على طلب العلم وأهميته ، وتعلى من شأن الذين يعلمون فترفعهم درجات على الذين لا يعلمون . ويكفينا هنا ختاما لما أوردنا أن نذكر بأن التاريخ يذكر لنا حادثة رائدة من نوعها فى هذا المجال حيث كانت فدية الأسير المشرك غير القادر على افتداء نفسه ماديا فى غزوة بدر تعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة(٣) .

وبعد أن استعرضنا من الكتاب والسنة أهمية طلب العلم ورفض الجهالة حيث أن العلم نور يضيء للعقل طريقه ، فلقد أثبتت البحوث والدراسات الحديثة أهمية تعليم أبناء المجتمع ومحو أميتهم وذلك للأسباب التالية :

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حيان فى صحيحة والبيهقى ، انظر الترغيب والترهيب ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .
(٢) رواه ابن ماجه فى سننه .
(٣) حسين أمين ، المدرسة المستنصرية ، مطبعة شفيق ، القاهرة ، ١٩٦٠ ص ١٢ .

* السبب الاول اخلاقى اجتماعى ، حيث أن الخلق القديم يرجع الى التعليم فاذا محونا أمية الفرد نهضنا بأخلاقه ، وعرفناه الأصول الاسلامية الصحيحة ، كما أنه لو استطعنا تعليم الأمى لأمكننا أن نجعل منه مواطنا يعرف حقوقه وواجباته ويتمسك بدينه وما أحوج المجتمعات الاسلامية لهذا المواطن .
* السبب الثانى صحى ، حيث أننا ذكرنا بأن نسبة الوفيات ترتفع بين الأفراد الأميين وذلك نتيجة لانتشار الأمراض التى تفتك بحياتهم وعدم استطاعتهم من الاستفادة من الخدمات الصحية التى تقدمها الدولة لهم . ولا يفوتنا هنا أن نذكر بأن الأفراد هم أهم مصادر الانتاج بالنسبة للمجتمع ، فاذا كان هؤلاء الأفراد أصحاء منتجين ، كانوا ثروة عظيمة لمجتمعهم .
* والسبب الثالث ، اقتصادى فالمتعلم أقوى على الانتاج والكسب لانه أقدر على العمل المنظم الوعى ، ولذلك فان العنصر الحرج فى التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى هو عنصر الموارد البشرية الماهرة والقادرة على دفع حركة التنمية .

جـ — استناد المجتمعات الاسلامية الى نماذج مستوردة للتنمية :

نريد هنا أن نتناول مشكلة اندفاع المجتمعات الاسلامية نحو تقليد المجتمعات الغربية فى نماذجها للتقدم الاقتصادى والاجتماعى فالمجتمعات الغربية لم تعد المشكلة التى تتحدى سياستها نحو التقدم هى بشكلة الفقر ومواجهة الطبيعة لاستثمار مواردها من أجل تحقيق النمو الاقتصادى والتقدم الاجتماعى . فهذه المجتمعات عاشت قرنين من الزمان بعد الثورة

الصناعية الأولى وتعيش الآن عصر الثورة التكنولوجية ، هذه الحقبة الزمنية مكنت هذه المجتمعات من رفع طاقاتها الانتاجية الى درجة كبيرة وتحقيق درجة كبيرة من النمو ، ويتضح ذلك الآن من الهوة الكبيرة بينها وبين المجتمعات النامية(١) .

وتمثل النماذج المستوردة للتنمية أحد الأسباب الرئيسية لعدم نجاح أى برنامج للتنمية فى المجتمعات الاسلامية ، ذلك لأن أفكار وجهودات التنمية التى تبذل هى فى الأساس أفكار أو تنظيمات غريبة عن مجتمعاتنا ولذلك فانها لا تساعد على نجاح برامج التنمية . والسبب فى ذلك أن الناس لا يتقبلون هذه الأفكار أو التنظيمات الغريبة عنهم بطبيعة تكوينهم الاجتماعى والثقافى ، بل انهم يقاومونها سلبيا فلا يتجاوبون معها ولا يحاولون فهمها او أنهم يعرقلونها عمدا . بل ربما تفقد هذه المجهودات الانمائية الناس قدرتهم الذاتية على التحرك الصحيح نحو تحقيق التنمية ، حيث أن هذه القدرة يجب ان تكون مستمدة من ثقافة المجتمع وحضارته الأصلية(٢) ولذلك تعد النماذج المستوردة للتنمية أحد التحديات الكبرى للتنمية داخل المجتمعات الاسلامية ، حيث أن هذه النماذج عند اختبارها فى الواقع الفعلى وجدت أنها عاجزة عن تشخيص وتفسير الواقع المتخلف للمجتمعات الاسلامية للأسباب التالية :-

١- أنها استند الى واقع تاريخى ، بنائى ، ثقافى مختلف تماما فى ملامحه عما هو قائم فى المجتمعات الاسلامية.

(١) حامد عمار ، فى اقتصاديات التعليم ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٤-٣٥ .
(٢) انظر ذلك :
Boeke, J. H., Economics and Economic Policy of Dual Societies, New York, 1953.

٢ـ اغفال واضعوا هذه النماذج أن قضية التنمية لها أبعادا متعددة منها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية ، بجانب عدم ادراك أن عوامل التخلف تتفاعل وتدور فى علاقة سببية .

٣ـ عدم التركيز أو الاهتمام فى دراسة مصادر التخلف وواقعه فى المجتمعات الاسلامية وربطه بمصادر التقدم ومظاهره فى المجتمعات الغربية المتقدمة حتى يمكن التوصل الى ملامح التشخيص السليم ، فلقد ثبت تاريخيا أن تقدم الدول الغربية لم يتم الا على حساب تخلف المجتمعات الاسلامية .

ليس معنى ذلك رفضنا لكل ما هو وافد علينا من الغرب أو الشرق رفضا كاملا ، بل لا بد من فحص وتقييم هذه الخبرة وتخليصها من شوائب التبعية والتسلط والاستغلال والأهم من ذلك هو تخليصها مما يبعدها عن قيمنا الاسلامية الأصيلة ، ثم نستخلص منها الأفكار والأدوات المنهجية التى قد تساعدنا فى صياغة النظرية الاسلامية البديلة والمطلوبة .

لقد أثبتت الخبرة أنه من الضرورى دراسة البناء الاجتماعى دراسة متعمقة فتخلف المجتمع يعد ظاهرة مركبة تشكلت تاريخيا مما يحتم ضرورة البحث التاريخى عن كل العوامل والمؤثرات التى أسهمت فى تشكيل هذه الظاهرة وصياغتها وتحديدها بالشكل التى هى عليه أى تبنى مبادئ نابعة من الواقع من أجل التطبيق فى هذا الواقع ذاته . فخطط وبرامج التنمية لا تتم فى فراغ وانما يتم تنفيذها داخل مجتمعات لها أطر ثقافية خاصة وأخذت وضعية خاصة (ممثلة فى قيم واتجاهات وعادات ومعتقدات وتقاليد ..الخ .) ولذا فان خطة التنمية التى تصلح لمجتمع معين لا تصلح للتطبيق فى مجتمعات

أخرى ذات بناء اجتماعى ، اقتصادى ، ثقافى ، دينى ، مختلف تماما ، بحيث يمكن القول أن قضية التنمية قد أصبح لها أبعادها الاجتماعية والاقتصادية ، والثقافية ، والسياسية ، والدينية ... الخ ، والتى يجب أخذها فى الاعتبار .

ويتفق الخبراء والعلماء فى مجال التنمية فى المجتمعات الاسلامية على ان هناك قواعد تبلورت من خلال الخبرة العملية والممارسة الميدانية ولها اهميتها القصوى لأنها مستخلصة من الواقع الفعلى الذى نعيشه ومن طبيعة المشكلات الواقعية والموجودة فى مجتمعاتنا ومحاولة تطبيقها او دمجها فى بنية المجتمع التى تختلف فى تكوينها عن تكوينات بنية المجتمع المنقولة منه هذه النماذج التنموية.

ان استيراد النماذج التنموية من المجتمعات الغربية لم ينشا عندنا الا بسبب اضمحلال الثقافة والحضارة الاسلامية لدى الافراد القادرين على وضع السياسات الاقتصادية والاجتماعية مما ادى الى حاجة هؤلاء الافراد الى تقليد الأنماط الفكرية والتنظيمية للمجتمعات الغربية المتقدمة ولم يكن هذا كله الا نتيجة ضعف أساسى فى الايمان بقيم الاسلام والتردى فى هوة التقليد الأعمى للحضارة الغربية التى أتيح لها آن تظهر فى القرنين الآخيرين من خلال نمو القوى المادية للانتاج ومن خلال نمو قواتها العسكرية ولكنها لم تستند أبدا الى أية افكار ومبادىء سامية . ولذلك نتساءل : لماذا لا نستطيع آن نزيل من حياتنا هذا الاقتداء الناشىء عن التقليد الأعمى ؟ ولماذا نسينا نحن المسلمون قيمنا الاصيلة ؟ هل نسينا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحذرنا من التقليد الأعمى ، والذى

نفس بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع ولو انهم دخلوا حجر ضب لدخلتموه .

هـ رؤيا اسلامية لعناصر التنميــة :

جاء نصوص القرآن الكريم واياته القطعية ، بان العقيدة الاسلاميــة فـى جملتها وتفصيلها هى نور وهداية للعالمين ، فيها كل الخير لكل من الفـرد والمجتمع . لقد جاءت الآيات البينات لتوضح معالم الطريق امام العقـــل البشرى حتى لا يضل ولا يزل فالله سبحانه وتعالى غنى عن العالمين ، لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية وانما النفع او الضرر يعود على العباد أفرادا وجماعات بحسب سلوكهم ان خيرا فخير وان شرا فشر . ومصداقا لذلك قوله سبحانـــه وتعالى : " ... فان الله غنى عن العالمين " (١)

والهدف الان هو محاولة استخراج القواعد الأساسية لعناصر التنمية مـن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وسوف نحاول ان نتمسك بهـــذه القواعد الأساسية ما دام أن الاسلام لا يرفض أية مفاهيم موضوعية يمكن أن يواجه بها المجتمع مشكلة من مشاكله الدنيوية طالما أن هذه المفاهيم لا تتعـــارض شكلا او جوهرا مع المبادئ الأساسية التى أرسى دعائمها القرآن والسنة . كما أننا يجب الا ننسى ان " الاسلام نفسه كان اضخم عملية تغيير شهدهــا العالم منذ أربعة عشر قرنا " (٢) . ويرجع ذلك الى بساطة العقيـــدة الاسلامية وخلوها من الغموض والتعقيد ، ومرونة التشريع الاسلامى وصلاحيته

(١) سورة آل عمران ، الآيــة رقم ٩٧ .

(٢) سعيد اسماعيل على ، اصول التربية الاسلامية ، دار الثقافة للطباعــة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ٢١٤ .

للتمشى مع تطورات الحياة . فالدين الاسلامى يمدنا بطائفة من القواعد والاساسيات والمبادئ الثابتة ، والتى فى ضوئها يمكن للمجتمعات الاسلامية ان تعالج الكثير من القضايا الاجتماعية والاقتصادية من التغير (١) .

ويتحدث معظم رجال الاقتصاد بأن عناصر التنمية تتمثل فى صلاحية المناخ الاجتماعى والاقتصادى ، وارتفاع معدل تكوين رأس المال ، وتقدم الفنون الانتاجية بشكل مستمر ، واتساع السوق . ونريد الآن أن نستخدم الرؤيا الاسلامية لكى نناقش ونحلل اثنتين من هذه العناصر وهما :

١ — صلاحية المناخ الاجتماعى والاقتصادى .

٢ — تقدم الفنون الانتاجية بشكل مستمر .

والسبب الذى يعود اليه اختيارنا لهذين العنصرين هو مدى ارتباطهما بالنظام التربوى داخل المجتمع ، ومدى قدرة هذا النظام على خدمة المجتمع ، حيث أن التربية فى خدمة المجتمع تعمل منه وله . كما أننا لو نظرنا الى هاذين العنصرين لنجد أن الانسان عنصر مشترك فيهما ، ولذلك فان التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى يتوقفان على تنمية الموارد البشرية داخل المجتمع ، والنظام التربوى يعمل على تنمية قدرات الأفراد وتزويدهم بالقيم والاتجاهات والمعارف التى تمكنهم من الخلق والابداع والابتكار وترجمة مظاهر الحياة الحديثة الى سلوك ينتقل من جيل الى جيل . ومن هنا يأتى أهمية النظام التربوى ، حيث يتم عن طريقه التغلب على العوائق الثقافية ، ويحفز الأفراد الى التقدم ويجعل العقول والنفوس لديها

---

(١) المرجع السابق ، ص ص ١٤ — ١٥ .

استعداد ورغبة فى احداث التغير الذى يعيد للمسلمين قوتهم وعظمتهم.

واذا كنا قد أدركنا مدى حرص الاسلام على مراعاة صالح كل من الفرد والمجتمع ، فان ما يبذله رجال التربية فى المجتمعات الاسلامية من جهد فى تحقيق مصالح مجتمعاتهم انما يكون جهدا تربويا اسلاميا ما دام يستهدف غايات الاسلام . وعلى أية حال سوف نتناول فى الجزء التالى الدور الذى يمكن أن تسهم به التربية فى تحقيق صلاحية المناخ الاجتماعى والاقتصادى ، وفى تقدم الفنون الانتاجية داخل المجتمعات الاسلامية.

أولا : صلاحية المناخ الاجتماعى والاقتصادى :

يتفق العديد من الباحثين فى مجال التنمية على أن صلاحية المناخ الاجتماعى والاقتصادى لأى مجتمع شرط أساسى وضرورى للتهيئة لعملية التنمية . وبالنسبة لنا بصفتنا مسلمين فان صلاحية المناخ الاجتماعى والاقتصادى لعملية التنمية لن يتم الا بالتمسك بالقيم التى أرساها الله سبحانه وتعالى كسبيل للايمان والتقوى . ولا شك أن لكل من النظام الاجتماعى والاقتصادى فى الاسلام قيما تحكمه.

وفى البداية نقرر أن نظام القيم الاسلامى ، نظام القيم عليا تطلب لذاتها ، وأنها متكاملة بمعنى أنها تعتمد على بعضها البعض اعتمادا متبادلا ، كما أن هذه القيم نابعة من (وتركز على) العقيدة الاسلامية السمحة التى تدور حول الكرامة الانسانية ، والحرية ، والعدالة ، والحق والمساواة .

ونلاحظ على النظام الاسلامى للقيم أنه يصل بين تطبيق بعد أحدهما حد

أدنى والآخر حد أقصى • فهذه القيم لا يعلوا بعضها فوق بعض لأنهما كلها مطلوبة لذاتها ، فالحق والعدل ••• الخ • كلها قيم تتكافأ في وزنها ، مع ملاحظة أن القيم الاسلامية جميعها تتكامل في ظل اطار واحد هو اطار الايمان بالله •

ولكل قيمة اسلامية (مستوى أدنى) ينحصر في كاداء ما يلزم من الواجب و (مستوى أعلى) يتطلب قيمة الأداء الى ما وراء الواجب ، ويتجاوز ، أي يتمادى الى آفاق رحيبه لاحد لها من التطوع • أي أن لكل قيمة اسلامية درجات تبدأ من مستوى التكليف وترتفع الى مستوى التطوع طلبها للقربى من الله • فهناك اذن حد أدنى يفترض تحقيقه من كل قيمة من القيم بل ان الانسان مكلف بتحقيقه وهو بعد نقطة بداية أو نقطة انطلاق يتجه منها المسلم الى الهدف الأسمى وهو الكمال •(١)

وحيث يتمسك غالبية أفراد المجتمع بالقيم الاسلامية فان الشرط الأساسي الأول لصلاحية المناخ الاجتماعي والاقتصادي لعملية التنمية يكون مستوفيا • أما اذا كان غالبية أفراد المجتمع لا يهتمون بهذه القيم أولا يضعونها في مرتبتها الصحيحة كما حدث في معظم المجتمعات الاسلامية التي تخلفت اجتماعيا واقتصاديا خلال القرون الماضية فان الأمر يستلزم التصحيح وأول خطوة في طريق التصحيح هي الاستغفار والتوبة " فقلت استغفروا ربكم أنه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ••• الخ الآيات التي سبق أن

---

(١) محمد محمود فرغلي ، البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام ، العدد رقم ١٦ من سلسلة دعوة الحق ، رابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢ هـ ، ص ص ١٠٣ ـ ١٠٨ •

استشهدنا بها من سورة نوح .

وكلمة الاستغفار أو التوبة قد تبدو غريبة السمع فى الحديث عن التنمية حيث غابت عنا نحن المسلمين كلمات ومعانى أصيلة وحلت محلها كلمات ومعانى دخيلة من القاموس الغربى . ولذلك فان عبارات " تصحيح المسار " " النقد الذاتى " تبدو مقبولة وذات رنين خاص يوحى بأهميتها . والواقع أن كل عبارة من هذه العبارات تمثل فى حقيقة الامر جانب من الجوانب العديدة لمفهوم الاستغفار والتوبة . فالاستغفار يشمل الاعتراف بالخطأ والرغبة فى الرجوع عنه بالاتجاه الخالص الى الله سبحانه وتعالى . والتوبة تشمل الاعتراف بالخطأ والاقلاع عنه والعزم الصادق على عدم العودة اليه . واعتراف أفراد المجتمع بأخطائهم هو ما يسمى فى المصطلحات الحديثة لعالم اليوم بالنقد الذاتى . وهذه عملية ضرورية لا بد أن تسبق أى شكل من أشكال التنمية . أما الخطوة الاساسية الثانية فهى الايمان والتقوى تمثلا بقوله تعالى : " ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا ... الخ الآية رقم ٩٦ من سورة الأعراف.

وسنوضح فيما يلى أهمية القيم الاسلامية المؤدية الى الايمان والتقوى لقضية التنمية :

أ - الايمان بالله :

الايمان بالله يعنى تحرير الانسان من كل قيد الا ضميره . فالايمان بالله هو القبلة التى يهتدى بها المسلم فى مكارن الاخلاق وعليه أن يحاول تحقيق أقصى ما يستطيع منها . وعلى هذا فانها تصبح غايته وتكون فى نفس

الوقت المعيار أو المقياس الذى تقاس به أخلاقه . لأنه يقرن المثل الأعلى فى كل فضيلة بالصفات الالهيـــة .

وشهادة أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله هى أو ما ينبغـــى أن يتحلى به المسلم لأنه لا جدوى من ذكر أى واحدة من القيم الاسلاميـة دون التأكيد أولا على أهميـة الجوهر الأساسى . فالشهادتين هما الفيصـل بين من يريدون تحقيق أى شىء على أساس الاسلام أو على غيره من الأسس .

وأول ثمرة من ثمرات الايمان بالله هى تحقيق التماسك الاجتماعى بـين جميع المسلمين والتماسك الاجتماعى بدون شك هو شرط ضرورى ولا غنى عنه فى نظر جميع من تكلموا عن التنمية . فليس هناك تجربة واحدة ناجحة فى مجال التنمية لأية أمة من الأمم دون أن يكـون الأساس الأول لها هو التماســك الاجتماعى . فلو نظرنا الى الدول المتقدمة اليوم لوجدنا على سبيل المثال لا الحصر أن التماسك الاجتماعى كان سببا من أسباب تقدم الدولة الألمانيـة بالرغم أنه كان تماسكا قائما على العصبية والعنصرية . ولقد تقدمت روسيـا نتيجة لاثارة مشاعر طبقية . ولكن يلاحظ أن التماسك الاجتماعى القائم على أسس وقيم ومبادىء من صنع البشر لا يدوم طويلا . هذا بينما أثبتت التجربـة أن التماسك الاجتماعى الذى قام على أساس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله قد حفظ الدولة الاسلامية قرابة سبع قرون متتالية من التفكــك . ولقد ظلت الدولة الاسلامية تقود التقـدم الاجتماعى والاقتصادى والفكــرى عالميا طوال هذه القرون السبع حتى ظهر الوهن على أثر تخلى أبنـــاء المسلمين أنفسهم عن قواعدهم الثابتة .

ب — العدل والحرية والمساواة :

يقوم الاسلام على العدل بمفهومه الواسع . فالفرد يعامل الآخرين بمثل ما يجب أن يعاملوه به ، وهذه النظرة تجعل الفرد يقدر الحقوق لغيره كما يقدرها لنفسه . وفى هذا المجال يقول الله سبحانه وتعالى : " يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين أو الأقربين " (١)

والعدالة فى شكلها التشريعى تعنى أن الجميع أمام عدل الله سواء فلا تفاضل بين الناس على أساس جنس أو دين أو مكانة ولا استثناء أو حصانة لأحد (انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد) .

والاسلام دين الحرية ، والايمان بالله يعنى (العبودية) له وهذه العبودية للخالق لا تجعل أى موجود آخر جديرا بالعبادة ، وبهذا يتحرر الانسان من عبودية أرباب متعددة لا تغنى ولا تنفع ولا تضر ، ويفرد اخلاصه وايمانه لرب العالمين ، بمجرد عبوديته له . وبذلك نجد أن الحرية هى جوهر التكليف فى العقيدة الاسلامية " ... فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم "(٢) . ولقد كفل الإسلام للمسلمين كافة أشكال الحريات التى نعرفها اليوم فالحرية الشخصية مكفولة تماما ، فلقد كفل الاسلام للفرد حرية الملكية ، وحرية العيش ، وحرية ابداء الرأى ... الخ .

ولذلك نجد أن الأمة الاسلامية تمتعت بميزات كاملة لم تتمتع بها أمة أخرى حيث تقررت مبادئ العدل والحرية والمساواة للجميع . ولقد أكد

(١) سورة المائدة : الآية رقم ١٣٤ .
(٢) سورة الانعام ، الآية رقم ١٤٥ .

القرآن الكريم ذلك فقال تعالى : " وان أحكم بينهم بما أنزل الله وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين " (١) وقال تعالى : " انما المؤمنون اخوة " وقال " ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان " (٢) . هذه الآيات وغيرها من الكتاب المقدس ترسى مبدأ العدل والمساواة .

ويهمنا هنا أن نؤكد أنه بقدر ما ستحقق المجتمعات الاسلامية من هذه المبادئ السامية على قدر ما ستنطلق فى مسار التقدم الاجتماعى والاقتصادى وليس هناك من يستطيع أن ينكر هذه الحقيقة .

ج - العمل عبادة :

يحض الاسلام على العمل وينفر من التواكل على الغير مع القدرة على العمل . وأفضل الكسب هو عمل اليد . والمقصود بالعمل هنا كافة أنواع النشاط الانسانى التى تؤدى الى انتاج سلع تشبع حاجات الأفراد داخل المجتمع .

والاسلام لا يفصل بين العبادة والعمل بمعنى أن ما يؤدى فى المسجد من صلاة تترجم آثاره فى العمل ، وما يؤدى فى العمل لا بد أن يكون ترجمة لما تزود به الفرد فى المسجد من طاقة نفسية ولهذا يظل ضميره حيا . والمسلم حين يمارس عمله يقوم به مستعينا بالله وصابرا بهدف اجادة واتقان عمله .

(١) سورة المائدة ، الآيات رقم ٤١ - ٤٢ .
(٢) سورة الحجرات ، الآيات رقم ١٠ - ١١ .

وحل مشكلات المجتمع تكمن فى العمل وليست الزكاة حلا لها بأى حال وعمارة الأرض لا يمكن أن تتحقق الا اذا قدم كل انسان ما يملكه من جهد حتى تتأكد خلافة الانسان على الأرض ولهذا لا يقر الاسلام حركات الانسحاب الى " الصوامع " بعيدا عن حركة الحياة (لا رهبانية فى الاسلام) كما أن الاسلام لا يقر الاستعلاء والنفور من بعض المهن والحرف والوظائف فكل مهنة شريفة مطلوبة للمجتمع تعد لازمة وضرورية ٠

والاسلام يدعو المسلم الى آداء واجبه حتى تجب له (حقوقه) ويتم ذلك فى اطار ضمير ذاتى (رقابة ذاتية) قوامها خشية الله وطلب القربى منه بالاحسان فى العمل (الاتقان والاجادة) فالانسان مسئول أمام الله كل الوقت ،أما مسئوليته أمام الرؤساء فهى لبعض الوقت ٠

وفيما يلى نستعرض الأدلة المختلفة من القرآن الكريم والحديث الصحيح التى تؤكد فضل العمل فى الاسلام ٠ ففى القرآن الكريم آيات عديدة نختار منها قوله تعالى : " وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله " (١) وفى هذه الآية الكريمة يسوى الله بين العامل المكافح وبين المجاهد فى سبيل الله ٠ وقوله تعالى : " فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون " (٢) وفى هذه الآية تأكيد على السعى فى طلب الرزق بالانتشار فى الأرض بعد آداء الصلاة (ما للتجارة أو مزاولة أى مهنة ، وأن يطلب المؤمن من فضل الله وانعامه ، حيث أن الرزق بيده ، فالله سبحانه وتعالى لا يضيع عمل العامل ، ولا يخيب أمل السائل ٠

---

(١) سورة المزمل ، آية رقم ٢٠٠

(٢) سورة الجمعه ، آية رقم ١٠٠

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان الا كان له به صدقه "(١) وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى رجلا من الانصار قد عمل حتى خشنت يده أو تورمت فسأله عن ذلك فقال انه من أثر الأداة التى يستخدمها فى عمله الذى يكتسب منه رزقه ورزق عياله فقال عليه الصلاة والسلام هذه يد لا تمسها النار أو قال تلك يد يحبها الله ورسوله "(٢)

من هنا نرى أن العقيدة الاسلامية تحتم على المسلم أن يعمل ويتقن عمله طاعة لله ومحبة فى رسول الله وارضاء لاخوانه المؤمنين . وهو محاسب على طاعته واتقانه لعمله يوم القيامة . أما ما يتحقق من رزق من وراء العمل فهو أمر مستقل قد قدره الله ولا حيلة للعامل فيه .

ونأتى الآن الى فضل العمل وأثره على التنمية فنرى أنه اذا كان على المسلم أن يعمل دائما بنشاط متجدد بغض النظر عما حصل عليه من رزق أو ما يتوقع الحصول عليه . وكذلك على المسلم أن يتقن عمله بغض النظر عن معاملة الاخرين له ازاء اكمال عمله أو اتقانه . فالمعاملة هنا أصلا بين المسلم وخالقه الذى يرزقه . وفى هذا المجال نجد أن بعض رجال الاقتصاد الغربيين أمثال (فيلن) ينتقدون نظرية " العمل من أجل الدخل " ويقررون أن الفرد يعمل من أجل حبه للعمل وأن هذه مسألة سلوكية غريزية . وهذا التفسير معاكس لتفسير علماء غربيين آخرين يقولون بأن الفرد يعمل بهدف الدخل وبذلك فسلوك الانسان انعكاس لما يحصل

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى .
(٢) الغزالى . فى احياء علوم الدين .

عليه نتيجة لعمله وبذلك يرون أن الفـرد يجتهد أو يقلل من كمية عملـه أو من اتقانه لهذا العمل تبعا لكمية النقود والتي تعرض عليه أو يتوقـع الحصول عليها (١) .

وانا كنا نرى أن رأى " فيلن " أفضل بكثير من التفسير الثاني الـذى يربط العمل بمستوى الدخل ، الا أننا لا نتفق أيضا مع " فيلن " فالاسلام يقول أن الفرد يعمل فى سبيل الله لا يكل ولا يقلل من اتقانه لعمله تبعا لهواه أو مزاجه الشخصى وحرية حبه لعمله وهو السبب الأساسى فى الرأى القائل فى حب العمل من أجل العمل ، فالمسلم محاسب على عادته واتقانه لعمله يوم القيامه لقوله تعالى : " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسولـه والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (٢) "

واذا استقر الايمان بهذه المعانى السامية فى نفس المسلم فانه سـوف يعمل فى أى نشاط انتاجى بلا كلل ويحقق له الكسب الذى قدره الله لـه ويرضى به ، كما أن استعداد المسلم لقبول العمل فى أى مجـــال واستعداده للرضا بأى دخل من وراء ذلك خير له من قبول البطالـــة والتسول ، ولقد أكد الحديث الشريف هذا المعنى ، فعن أبى هريـــرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لأن يحتطـب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحد فيعطيه أو يمنعه " (٣) .

---

(١) Roll, E., A History of Economic Thought, Faber and Faber Ltd., London, 1973, PP. 447-448.

(٢) سورة التوبة ، الآية رقم ١٠٥ .

(٣) رواه مالك ، والبخارى ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى .

ويجب أن نؤكد هنا بأن استعداد المسلم لقبول العمل في أى مجال أو استعداده لقبول حرفة أو مهنة واستعداده لقبول أى كسب يتحقق له لا يلغى حرية اختياره في انتقاء الاعمال التي يعتقد انها أفضل بالنسبة له لأن مهارته فيها أو كفاءته في آدائها أكبر ، أو لأنه يتوقع أن يستريح فيها نفسيا ، أو لأنه يتوقع منها دخل أكبر من غيرها . فحرية الاختيار مكفولة للمسلم طالما أن هناك اختيار قائم بين فرصتين للعمل أو أكثر ، ولكنها مرفوضة حينما تكون هناك فرصة واحدة فقط ويكون البديل هو البطالة . وبذلك نجد أن حرية الاختيار مكفولة للمسلم حينما تتوافر أكثر من فرصة للعمل لكي ينتقى أنسب الأعمال له من حيث مدى استعداداته وقدراته وتدريبه أو سابق خبرته ، لأن ذلك يتيح للمسلم أن يحسن في عمله ، والله يحب المحسنين .

ولا شك أن العمل بهذا المفهوم الاسلامى سوف يعطى دفعة قوية لعملية التنمية متى وليتها بدأت . فالمسلم أولا يفضل العمل في أى أشكاله على البطالة ويعمل على انتقاء أنسب الأعمال انما أتيح له الاختيار بناء على قدراته واستعداداته وميوله وخبرته ... الخ . ويعمل المسلم على الاحسان في عمله فيرتقى بذلك مستوى آداء وكفاءة العامل المسلم . كما أن مثابرة المسلم في عمله لا تتأثر لهواه أو ميوله الشخصية ، انما يعمل لأنه أمر بذلك من الله سبحانه وتعالى ويعلم أنه محاسب على عمله وعلى كيفية آدائه لهذا العمل . كما أن المسلم لن يتهرب من أى مسئولية تلقى عليه وسوف يرحب بالتعاون مع زملائه داخل العمل لأن التعاون صفة من صفات الايمان . وهذا الخلق القويم كفيل بأن يصل بالقوة العاملة للمجتمع الى أعلى مستوى للآداء والكفاءة ، فيزداد الناتج القومى بأعلى المعدلات الممكنة .

د - التكافل الاجتماعي :

لقد وضع الرسول الكريم أسس التكافل الاجتماعي حين آخى بين المهاجرين والأنصار . والتكافل هو أن يكون الفرد في كفالة الجماعة وعلى هذا فان المسلم يكون في كفالة المجتمع المسلم . والتكافل يقوم على مبدأ الاخوة والترابط بين المسلمين باعتبارها أخوة في العقيدة وفي الانسانية . " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو فيه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " . والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . أي أن الجماعة الاسلامية كل متكامل .

والتكافل الاجتماعي ينتهي الى التزام الفرد بأن عليه واجبات نحو مجتمعه وأن تقصيره في آدائها يهز كيان هذا المجتمع . وهو يحس أن له حقوقا على هذا المجتمع الذي يجب عليه أن يعمل جاهدا لتوفيرها . ولذلك تسعى الدولة لتسخير امكاناتها لتأمين وسائل العيش والحياة الكريمة لأبنائها . ولهذا فان الدولة لا بد أن تعمل على تهيئة الفرصة لكل قادر على العمل وفي نفس الوقت تضمن للعاجز عن العمل - بصورة اضطرارية بسبب مرض أو عاهة - حياة كريمة (١) .

والتكافل واجب على القادرين . وهم هؤلاء الذين يملكون ما يزيد على كفاية سنة (لهم ولمن يعولون) ولو سئل قادر على دفع ضرر لم يجز له الامتناع . ويفرض على الأغنياء في كل بلد أن يقوموا بعبء فقرائهم ويجبرهم الحاكم على ذلك اذا لم تكف الزكاة . وأهل أي حي ملزمون بالقيام بعبء جيرانهم ويرى ابن حزم أن " أيما أهل عرصة أصبحوا وفيهم جائع

(١) حازم عبد المتعال الصعيدي ، النظرية الاسلامية في الدولة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ١٢٨ .

فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله »[1] وهو يذهب أيضا الى مسئولية البلد الذى يموت فيه أحد أفراده جوعا ، فيدفع أهله متضامنين الدية لأسرته كأنهم شركاء فى موته .[2]

وينطلق التكافل من الاحساس بالمساواة بين الجميع فى الحقوق والواجبات ومراعاة كل فرد حق غيره مراعاة تامة فى مجتمع يعمل على توفير المطالب الروحية والمعيشية لكل فرد . وبهذا يصل التكافل الى حد الفريضة ، فلا يكمل ايمان الفرد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . فالاتجاه الاسلامى هو الذى يطبع المساواة بطابع الرحمة ، ويجرد الفرد من أنانيته فى بوتقة (الغيرية) .

ثانيا : تقدم الفنون الانتاجية (التقنية) :

العلم ، والتقنية ، والتنمية ثلاثة أوتار متصلة ومتكاملة ، تهدف الى تقدم المجتمع وتطوره لكى يعيش فيه الفرد وهو أكثر سعادة ورفاهية - بيد أن وضع الأوتار الثلاثة جنبا الى جنب لا يعنى الكثير بل وقد لا يعنى شيئا ما لم تتناولها بابداع خلاق عقول الانسان . فالعلم محاولة للكشف عن أسرار العالم المحيط ، والتقنية تطبيق ذكى لمنجزات العلم للتغلب على مشكلات عملية - مادية فى الغالب - ، أما التنمية فهى محصلة لمعطيات العلم والتقنية فى شكل معادلة متناغمة لازاحة سلبيات مجتمع واحلال ايجابيات مكانها .[3] .

(١) ابراهيم دسوقى أباظه ، الاقتصاد الاسلامى ، مؤسسة دار الشعب القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ١١٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) على فهمى ، العلم والتقنية ، فى كتاب ملتقى العلم والتقنية والتنمية سلسلة الدراسات الاجتماعية ، عدد رقم ٧ ، مركز الدراسات والأبحاث [illegible] الاجتماعية ، الجامعة التونسية ، تونس [illegible]

ولقد أشار كثير من المفكرين الاقتصاديين المعاصرين الى أن تقدم الفنون الانتاجية هو أهم العوامل المؤثرة فى النمو الاقتصادى . فيقول " شومبيتر " Schupmeter " فى نظريته عن التنمية الاقتصادية الى أن عملية التجديد Innovation هى لب عملية التنمية الاقتصادية وأن التقدم التقنى هو أبرز عناصر هذه العملية (١) . بل ان المفكرين الاقتصاديين المعاصرين يعرفون التنمية الاقتصادية بأنها سلسلة من التغيرات فى الطرق والنسب التى تمزج بها عناصر الانتاج (٢) .

والسؤال الذى نطرحه هنا : هل نجد فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ما يجعل التقدم المستمر فى الفنون الانتاجية أمرا ضروريا فى المجتمع الاسلامى ؟ وللجواب على هذا السؤال نقول بأن التعليم فى الاسلام أعظم تجربة رائدة عرفتها البشرية فى سبيل بناء حياة فاضلة، وأقوم طريق أمام أبناء المجتمعات الاسلامية لمواكبة ركب التقدم العلمى واسترداد سالف رسالتهم فى خدمة الحضارة الانسانية . ذلك ان هذا التعليم استطاع أن يقضى على القطيعة بين العلم والدين . تلك القطيعة التى سلبت الانسانية أسباب الطمأنينة والسعادة .

فلقد جاءت تعاليم الاسلام تنادى بأن مصدر الحقيقة الدينية والعلمية انما هو الله الحق ، ومن ثم فالحق واحد لا يتعدد ، وانما تتعدد الأهواء والنوازع التى لا تسترشد بهدى الدين أو بنور العلم . قال تعالى :

---

(١) انظر فى ذلك :
Schumpeter, J., The Theory of Economic Development, Oxfored University Press, New York, 1961.

(٢) Singer, H., The Strategy of International Development, Macmillan, London, 1975, PP. 189 - 195.

" فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق الا الضـلال " (١)

واذا كان الاسلام قد انهى عليا القطيعة بين الدين والعلم ، فـان الايمان فى ظل الشعور الاسلامى انما يربو ويرسخ بنشر التعليم بين البشر. ويتضح الفرق بين التعليم فى الاسلام وغيره فى ظل الأديان الاخرى حين نرى ما بذله رجال الدين فى العصور الوسطى لاستبقاء الجماهـير فـى أغلال الجهل حين أحسوا أن سلطانهم انما يزول بقدر ما تستنير الشعـوب ببزوغ شمس العلـم والمعرفـة بينما نجد أن الاسلام يرى أن التزود بالعلم والمعرفة انما يؤدى الى تقوى الله وخشيته ، وهو جوهـر الايمان ذلك أنه " انما يخشى الله من عباده العلماء " (٢) ، وأن الراسخين فى العلم انما هم من الشهود على وحدانية الله سبحانه وتعالى .

واذا كان الاسلام عقيدة خالصة تستقر فى القلوب فانه مع ذلك أو قبـل ذلك مبادئ هادية لا تناقض العقول . والقلوب هى وعاء الايمـان ، والعقول هى الوسيلة الى الفهم والاقتناع فاذا توفر الفهم واكتمل الاقتناع ، أخذت المبادئ طريقها الى القلب لتصبح عقيدة مستقرة . ومن هنا كان خطاب الدين موجها الى العقول أولا يناقشها ويجادلها لكى يبتعـد أصحابها عن التقليد الأعمى والانقياد الموروث ، أنظر قول الله سبحانـه وتعالى " واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليـه آباءنا أو لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ، ومثل الذين كفـروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون " (٣)

(١) سورة يونس ، الآية رقم ٣٢ .
(٢) سورة فاطر ، الآية رقم ٢٧ .
(٣) سورة البقرة ، الآية رقم ١٧٠ .

والآية هنا توضح ضرورة التحرر العقلي ، والانفلات من أسر العقائد الموروثة دون تفكير ، وترسم صورة منفردة لأولئك الذين يلغون عقولهم ، ويكبلون تفكيرهم فيجعلهم كالدواب " الصم البكم العمى " .

وبدأت من هذه المفاهيم السامية للتعليم في الاسلام صفحة جديدة مشرقة في تاريخ البشرية ، استرد فيها الانسان كرامته وشخصيته ، وأدرك بها حقيقة رسالته ومهمته في الوجود . فهو خليفة الله على الأرض ، واذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الأرض خليفة "(١) . ثم تأكدت خلافة الانسان في الأرض في تعليم آدم ، كما جاء في قوله تعالى : وعلم آدم الأسماء كلها "(٢) . فالله سبحانه وتعالى خلق الكون أولا ، ثم الانسان ليكون خليفة الله على هذا الكون . فخلافة الانسان على هذا الكون هي مظهر كمال الكون ، وأن الانسان مأمور من الله سبحانه وتعالى بهذه الخلافة أن يتعلم كل ما يدفع حياة التطور الى الأمام . فالتعليم هو السبيل الموصل نظريا وعمليا الى الكشف الدقيق عن أطوار الانسان وأوضاعه في الكون لقوله سبحانه وتعالى : " قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق "(٣) . ولقد جعلت هذه الآية الكريمة من دراسة الكون طريقا الى الايمان ، وجعلت الايمان في الوقت نفسه طريقا لفهم الكون وأسراره ، بل جعلت أحدهما دليلا على الآخر وشرطا لصحته .

وتتابعت الآيات القرآنية لتحث الانسان على التفكير والتدبير في آيات الكون ، وتبين له كيف أن الله سبحانه وتعالى قد أتاح له أن يتغلب بعقله

(١) سورة البقرة ، الآية رقم ٢٩ .
(٢) سورة البقرة ، الآية رقم ٣٠ .
(٣) سورة العنكبوت ، الآية رقم ٢٠ .

على قوى الطبيعة ويستخدم مواردها التى سخرها له • فيقول الحق سبحانة وتعالى : " ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه الطير وألنا له الحديد ، أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير " (١) • وقوله تعالى : " وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس " (٢) وقوله سبحانه وتعالى : " والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين ، والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون " (٣) •

ويلاحظ أن التفكير الذى أمرنا الله به فى العديد من الآيات القرآنية هو أصل البحث العلمى وأن ثمرة هذا هى الفكرة العلمية فاذا خرجت الى مجال التطبيق أصبحت قوة مؤثرة • ولذلك لم يكن غريبا أن نجد أن معظم الباحثين الذين تطرقوا لهذا الموضوع قد اعتبروا أن وجود أصحاب العقول والمناخ الملائم للبحث العلمى هما أهم عنصرين مؤثرين فى تقدم الفنون الانتاجية والعكس صحيح بمعنى أن هجرة أصحاب العقول أو فساد المناخ الملائم للبحث العلمى يتسببان فى الأجل الطويل الى ركود الفنون الانتاجية وعدم تقدمها •

كما أننا يمكن أن ندرك أن التعليم فى الاسلام قد كفل للانسان أن يعيش فى واقع مجتمع حى ، ينتصر فيه بالبرهان الحسى على كل الخرافات والأوهام التى فرضتها عليه جهالات الوثنية • فاليقينية العلمية صارت

(١) سورة سبأ ، الآية رقم ١٠ ، ١١ •
(٢) سورة الحديد ، الآية رقم ٢٥ •
(٣) سورة النحل ، الآية رقم ٨٠ ، ٨١ •

المحور الذى دار عليه ذلك التعليم فى شتى مراحله ، والسبيل الذى تحرر به البشرية من سجون الوثنية ومن أغلال رجال الديانات السابقة على الاسلام • فانتهى بشروق شمس الاسلام عقم التعليم التجريدى القديم فى مجالات الكشف عن الحقائق والقوانين • وبدأ المفهوم الجديد للتعليم فى الاسلام يهدى الناس الى مصدر كل علم ، وهو الله سبحانه وتعالى ، وانهم " ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء "(١) ، " وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو "(٢) .

وتدلنا التجربة التاريخية أنه كانت هناك نهضة علمية فى العصور الوسطى داخل الدولة الاسلامية التى امتدت شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وأن هذه النهضة العلمية اعترف بها الجميع مسلمون وغير مسلمين • بزغت هذه النهضة على أثر انتشار الاسلام ورسوخ قيمة فى نفوس المسلمين ، وكان الخلفاء المسلمون ينفقون دون أى تقتير على تشجيع العلم والعلماء شعورا منهم بأن هذا يمثل جانب من مسئولياتهم • وخلال نفس الفترة التاريخية — العصور الوسطى — نجد أن أوربا كانت تعيش فترة ظلام دامس من الناحية الفكرية والعلمية ، حتى أنهم أطلقوا على العصور الوسطى عصور الظلام Dark Ages عندهم • ولم يكن غريبا مع بداية عصر النهضة فى أوربا أن يتتلمذ العلماء الأوربيون على يد علماء الأندلس والمغرب وعلماء الشرق العربى الاسلامى ، ولم تتحقق النهضة العلمية فى أوربا الا بنهاية عصور الظلام ونشأة الفكر الحر .

---

(١) سورة البقرة ، الآية رقم ٢٥٤ .
(٢) سورة الأنعام ، الآية رقم ٥٨ .

ومع انتشار الاسلام واتساع الدولة الاسلامية ، بدأت تباشير نهضة علمية دعامتها فى بداية الأمر العلوم الدينية مثل القرآن والتفسير ورواية الحديث ثم استنباط الأحكام الفكرية والفتاوى الشرعية ، ثم تلاها اهتمام كبير ودائب بالعلوم العقلية أو الكونية كالطب والفلسفة والرياضيات . ففى العصر العباسى تأسست مدرسة للطب ، ولقد كانت هذه المدرسة وارثة للطب اليونانى والفلسفة اليونانية ، وحول هذه الدراسة الطبية وجدت دراسة الطبيعة والكيمياء وغيرها من العلوم ، حيث كانت العلوم الطبية تتطلب كل هذه الفروع . (١)

ويعلل ابن خلدون ازدهار العلم فى العصر العباسى بما تمتع به العباسيون من سعة فى الرزق أعطى الفرصة للجودة والكثرة . فبعد أن كفى القوم أنفسهم من الضروريات وزاد لديهم فائض من الرزق اتجهوا الى التجديد والتحسين فى صناعاتهم ، والى الاغداق على محبى العلم والعلماء والأكثر من ذلك هو منح العلماء الحرية الاكاديمية التى يحققها محب العلم . وبذلك سار التقدم العلمى بخطى سريعة ومطردة . (٢)

ويقارن بعض الكتاب بين الحرية العلمية فى الدولة الاسلامية والجمود الفكرى الذى أصاب الغرب فى العصور الوسطى بقوله " انه بينما كان الخلفاء الراشدون والامويون والعباسيون يجادلون الخوارج والنصارى واليهود والصابئة والمجوس بالتى هى أحسن ، ويعقدون لهم المجالس للمناظرة ويدرون عليهم الأرزاق ، ويفتحون لهم أبواب معاهد العلم ... بينما كان هؤلاء يقفون هذا الموقف كان الذى يجسر على تبيان فضل العقل فى

(١) سعد مرسى أحمد ، تطور الفكر التربوى ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨١ ، ص ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٠ .

أوربا يربط الى سارية مركوزة فى نار متأججة ، أو تشد أطرافه الأربعة الى جياد ينهال عليها الموكلون بها ضربا بالسياط"(١)

وفى الوقت الذى انبثق فيه نور النهضة العلمية فى أوربا بدأت الدول الاسلامية تدخل فى عصور الظلام حيث ساد جو من الاستبداد السياسى بين الرعايا وتولى بعض الحكام محاربة الفكر الحر بين العلماء . وفى الوقت الذى تحققت فيه الثورة الصناعية فى أوربا كانت الدول الاسلامية قد أصبحت تعانى بشدة من خلوها من العلماء النابهين واشاع الشهرة على عكس ما كان عليه الحال عندما انتشر الاسلام وسادت قيمه فى نفوس المسلمين .

وعلى أية حال فاننا نرى أنه ما زالت هنا مسألة على جانب كبير من الأهمية تجدر مناقشتها هنا تتعلق بعالمية أو بمحلية العلم والتقنية . بمعنى آخر هل من المفيد نقل العلم والتقنية من المجتمعات المتقدمة الى المجتمعات الاسلامية ؟ أم أن الأصح أن يكون لدول العالم الاسلامى جوانب علمها الخاص وتقنيتها الخاصة فى ضوء ظروف تطورها التاريخى وواقعها الاجتماعى والثقافى والاقتصادى ؟ أم أنه يمكن النقل من الأولى الى الثانية فى حدود معينة ، مع ضرورة اجراء التعديلات اللازمة للتمشى مع القيم الاسلامية ؟ .

من السهل على الانسان أن يتقبل فكرة أن العلم والتقنية ذات طابع مطلق ، أى أنهما يكونان ذات نطاق عالمى . فاذا نظرنا الى العلم نجد أنه من الصعب تصور أن العلم لا يتمتع بالعالمية ، فالعلم وهو ذو طابع تجريبى لا يشك فى عالمية مناهجه وكذلك نتائجه . بيد أن هذا يقتصر على فروع معينة من العلوم التى تتناول ميدان الجوامد مثل العلوم

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

الفيزيائية والكيميائية والرياضيات وغيرهما . وتقل درجة العالمية كلما خرج ميدان النشاط البحثي عن دائرة الجوامد الى دائرة الحياة الفسيولوجية الأكثر تعقيدا . وتكاد أن تنعدم درجة العالمية في حالة العلوم المتصلة بالانسان وبحياته الاجتماعية(١) .

وهذه التفرقة نراها ضرورية في هذا المقام ، اذ أن نقل العلم من الدول المتقدمة الى دول العالم الاسلامي مسألة تقتضي اعمال هذه التفرقة المتقدمة ، وبخاصة وأنه — حتى بالنسبة للعلوم الفيزيائية والكيميائية — فان تطوير النشاط البحثي فيها يرتبط الى حد كبير بتوافر عدة شروط موضوعية كالتنظيم العلمي وتوفر الاعتمادات المالية والتجهيزات المتاحة ... الخ . ولربما كان من اليسير نقل المناهج والمعطيات فيما يتعلق بالعلوم البحته ، ونقل المناهج مع بعض التحفظ فيما يتعلق بالمعطيات بالنسبة للعلوم البيولوجية ، أما فيما يختص بالعلوم الانسانية فانه من الضروري التبصر من حيث المنهج والمضمون نظرا للاختلافات الأساسية الفارقة بين المجتمعات المتقدمة والمجتمعات الاسلامية . كما أن موضوعات البحوث وأولويات تناولها ، يجب أن ترشد في أقطار العالم الاسلامي في اطار يتفق مع ظروفها وأوضاعها وامكاناتها ومخططاتها ، حتى لا يصبح العلم والبحث العلمي ترفا لا تطيقه هذه المجتمعات .

أما فيما يتعلق بالتقنية ، وهي التطبيقات المختلفة لنتائج البحث العلمي ، فان المسألة تختلف ، فان انتقاء تقنيات واستخدامها يحتاج الى التدقيق والملاءمة مع الظروف المحلية الموضوعية لدول العالم الاسلامي .

---

(١) علي فهمي ، العلم والتنمية ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٤ — ١٣ .

فانتقاء تقنية معينة واستخدامها ، كل ذلك أمور تجدر دراستها والتبصر بكل الخلفيات والظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع ، والا انقلب ذلك وبالا على العمليات الانتاجية فضلا على تأثيرها على قيم المجتمع وأنماط التنشئة . فالتقنية المنقولة يجب ألا تتعارض مع قيم المجتمع ومعتقداتهم الأساسية . كما يجب أن يراعى عند نقل التقنية مدى حاجة المجتمع الى مثل هذه التقنية ، وترتيب أولويات الاحتياج اليها . بل أنه من الأفضل الاستفادة من التقنيات المحلية مع تطويرها بدلا من نقل تقنيات حديثة غريبة على المجتمع اذا كانت التقنيات المحلية أكثر تقبلا في المجتمع وأقل تكلفة . كما قد يكون من الملائم ارجاء احداث تقنية ما لحين توفير الكوادر الفنية المتخصصة ، بحيث يمكن تقليل الاعتماد على الخبرات الأجنبية في هذا المجال .

واذا نظرنا الى المجتمعات الاسلامية اليوم لوجدنا أنها تغلب عليها (الأمية التقنية) فكل ما عندنا من ثمار العلوم هو من انتاج العقل الغربي نحن لا نعرف أى بلد اسلامى وضع لنفسه خطة فعالة ومتكاملة للأخذ بالعلوم الحديثة وتطبيقاتها على الحياة . ولذلك فنحن بحاجة الى تحديد أفكارنا وتفتح نظرتنا الى الحياة من حولنا . اذن لا بد من توعية الجميع الى ضرورة الأخذ بالعلوم التقنيات وايجاد الحماس لديهم فى جو ملؤه الطموح والأمل جو تسوده الحرية والمسئولية والشورى بمعناها الانسانى الرفيع . نحن فى حاجة الى احترام العقل ففى هذا المناخ تنمو العلوم وتزدهر التقنيات .

والنظام التربوى الذى يعمل على خدمة المجتمع وتحقيق أهدافه من

الرقى والتقدم على أسس من العلم والتقنية لا بد أن يهتم بما يلى :

١- العمل على غرس القيم الروحية والخلقية الضرورية ليتحلى المسلم بالصفات التالية : حب العمل ، الصدق ، الأمانة ، الدقة تحمل المسئولية ، المحافظة على الوقت ، التعاون ، قبل الأفكار الجديدة .... وغير ذلك من الصفات .

٢- العمل على توفير ثقافة تقنية لأبناء المجتمع الاسلامى ، فالحياة المعاصرة تتطلب من كل مسلم أن يلم بشئ من الحياة التقنية . ولذلك يجب على واضعى البرامج الدراسية أن يعيدوا النظر فى البرامج الموجودة لكى تساير التقدم العلمى والتقنى .

٣- العمل على تنمية حب البحث العلمى واكتشاف وتنمية واستثارة قابلية الابتكار والابداع ، حيث أن من الأمور المسلم بها أن قابلية أبناء الشعوب الاسلامية فى الابداع والاختراع لا تقل عن قابلية أبناء الشعوب المتقدمة . ولكن المشكلة عندنا قلة اهتمامنا باكتشاف وتنمية قدرات أبنائنا ، بينما تهتم المجتمعات الغربية بهذه الأمور

٤- العمل على الاهتمام بالنشاطات اللاصفية ، وهى نشاطات تربوية يقوم بها الطلاب خارج ساعات الدراسة الرسمية ، فينصرف الطلاب كل حسب ميوله وقدراته الى ممارسة هذه النشاطات الحرة . حيث أن هذه النشاطات تظهر مواهب الطالب الخاصة ، كما تعلمه حب التعاون مع الآخرين والقدرة على تحمل المسئولية وتنمى تفكيره الابتكارى .

وصفوة القول أن أمام المجتمعات الاسلامية فرصة سانحة وحاجة ملحة لأن تفكر تفكيرا جديا فى تحقيق نهضتها الجديدة ، التى نرجو أن تكون

نهضة مؤسسة على العلم والتقنية والمقترنة بالايمان بالله وتمثل القيم الاسلامية الفاضلة . وذلك يتطلب التغلب على ما أشرنا اليه من عقبات وتحقيق المستقبل الأفضل على أساس العدالة والحرية والمساواة .

ان الانسان المسلم فى الوقت الحالى يريد أن يبنى انسان وحضارة الغد ، وأن يكون له فى صنعهما شأن ، وألا يكون مجرد متفرج على حضارة تمضى وحضارة تجىء كما تتعاقب الايام والليالى ، وتأتى بما تشاء، وتقذف بما يحلو لها . انه لا يقبل أن تكون حضارة الانسان الغربى مفروضة عليه ، وأن يغدو التقدم الذى أصاب العالم جبة يجره الى حيث يرتضى أو لا يرتضى وأن تنقلب قصة التطور العلمى الى جبرية تقوده الى حيث لا يدرى . هل يتأتى له ذلك ؟ وهل سينجح فى تحقيق آماله ؟ " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون "(1)

---

(1) سورة التوبة ، الآية رقم ١٠٥ .

المراجع

أولا : المراجع العربية :

١ - ابراهيم دسوقى أباظه ، الاقتصاد الاسلامى ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

٢ - جلال مدبولى ، المجتمعات الريفية المستحدثة تخطيطها وتنميتها ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

٣ - حازم عبد المتعال الصعيدى ، النظرية الاسلامية فى الدولة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

٤ - حامد عمار ، فى اقتصاديات التعليم ، دار المعرفة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨ .

٥ - حسين أمين ، المدرسة المستصرية ، مطبعة شفيق ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

٦ - سعد مرسى أحمد ، تطور الفكر التربوى ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨١ .

٧ - سعيد اسماعيل على ، أصول التربية الاسلامية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

٨ - صلاح العبد ، موجز لتحديات التنمية فى البلدان النامية (العالم الثالث) ، فى الكتاب السنوى الأول فى التنمية الريفية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ .

٩ - عاطف غيث ، التنمية الريفية ومشكلات المجتمع القروى المصرى ، فى الكتاب السنوى الأول فى التنمية الريفية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ .

١٠ - عبد الباسط محمد حسن ، التنمية الاجتماعية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

١١ - عبد الرحمن يسرى أحمد ، دراسات فى التنمية الاقتصادية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

١٢ - عبد الفتاح جلال وآخرون ، استراتيجية مقترحة لمحو الأمية فى الوطن العربى ، المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار فى العالم العربى ، سرس الليان ، ١٩٧٦ .

١٣- على عيسى عثمان ، أسس التخطيط الاجتماعى ، فى مجلة تنميـة المجتمع فى العالم العربى ، المجلد التاسع ، العدد ٣ ، سرس الليان ، ١٩٦٢.
١٤- على فهمى ، العلم والتقنية ، فى كتاب ملتقى العلم والتقنيـة والتنمية ، سلسلة الدراسات الاجتماعية ، عدد رقم ٥٧ مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعيـة ، الجامعة التونسية ، تونس ، ١٩٨٠.
١٥- فاخر عاقل ، معالم التربية ، دراسة فى التربية العامة والتربيـة العربية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعـة الثالثة ، ١٩٧٨.
١٦- فردريك هاريسون ، التعليم للتنمية ، ترجمة جمال زكى ، المجلـة الاجتماعية القومية ، المركز القومى للبحوث الاجتماعيـة والجنائية ، العدد الثالث ، القاهرة ، ١٩٦٤.
١٧- المركز الدولى للتعليم الوظيفى فى العالم العربى ، التقرير النهائى لندوة خبراء استراتيجية محو الأمية فى الدول العربيـة سرس الليان ، ١٩٧٦.
١٨- محمد على الصابونى ، صفوة التفاسير ، المجلد الأول ، والثانى ، والثالث ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ١٩٨١.
١٩- محمد محمود فرغلى ، البيئة الادارية فى الجاهلية وصدر الاسلام ، العدد رقم ١٦ من سلسلة دعوة الحق ، رابطة العالم الاسلامى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢ هـ.
٢٠- وفيق أشرف حسونة ، معوقات التنمية الاجتماعية فى الريف المصرى ، مطبوعات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائيـة ، القاهرة ، ١٩٧٥.

ثانيا : المراجع الأجنبيـة :

I- Boeke, J . H., Economics and Economic Policy of Dual Societies, New York, 1953.
2- Hobhouse, L. T., Social Development, Greorge Allen Uwin Ltd., London, 1966.

3- Kindleberger, C. P., and Herrick, B., Economic Develoment, Mc-Graw Hill, Kogakusha Ltd., I977.

4- Roll, E., A History of Economic Thought, Faber and Faber Ltd., London, I973.

5- Schumpeter, J., The Theory of Economic Development, Oxfored University Press, New York, I96I.

6- Singer, H., The Strategy of International Development, Macmillan, London, I975.

فهرست

رقم الايداع بدار الكتب ٩٨٢٢٩ / ٨٤